

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجزء الأوّل



24. شعوب الدّنيا في دهشة إلى ما يجري على قطركم

27 محرّم 1380هـ الموافق 22 جويلية 1960م

الحمد لله الّذي اختصّ وتفرّد بالغيب في ملكوته، ورفع شأن المخلصين المتفانين في نصرة دينه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، اتّصف بالحكمة في تسيير شؤون خلقه، وتدبّر نظام ملكه، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي بلّغ رسالة ربّه، ونفّذ كلّ أوامره وقوانينه، حتّى أدّى أمانة الله كاملة غير منقوصة، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين لم يتأخّروا لحظة عن القيام بواجبهم، ولم يتركوا الوهن والضّعف يتسرّب إلى قلوبهم، فبذلك استطاعوا في مدّة وجيزة من الزّمن أن يجعلوا الدّنيا في أيديهم، وتحت تصرّفهم ونفوذهم، رضي الله عنهم أجمعين.

أمّا بعد: فإنّنا ندرك تقلّبات هذه الحياة حسب اتّجاه الأفراد الّذين يعيشون على مسرحها، وحسب المقاصد والأعمال الّتي تسيّرها العزيمة الصّحيحة، والأفكار النيّرة.

فإذا كنّا ندرك -أيضًا- سرّ هذا الدّين الّذي نؤمن به، ونقدّس أحكامه وقوانينه، ونؤمن بالسّنن الطّبيعيّة الكونيّة، فإنّه لا يمكن للشّكّ أن يتسرّب إلى قلوبنا عن تحقيق ما تصبوا إليه نفوسنا من تلك الأهداف العالية، التي تسمو بنا إلى قمّة الحياة، وكلّ أنواع الرّقيّ والتّقدّم.

غير أنّ الغريزة الّتي جبلنا عليها في طبيعتنا هي حبّ العجلة، والتّذمّر من بعض الهزائم الّتي قد تصيبنا في بعض المواقف، وسبب ذلك كلّه هو أنّنا ننظر إلى كلّ شيء نظرة قاصرة، ونركن دائمًا إلى الغريزة المجبولة على الضّعف والتّقهقر، ولا نرضى أن نستعمل تفكيرنا ونجول في حقل كتابنا الحكيم لنكشف الغطاء عن سبب هذا الضّعف، علّنا نكسب عزيمة جديدة تمدّنا بأنواع الأمل والإقدام، اللّذيْن لا يعرفان للتّردّد سبيلا.

وما علينا إلّا أن ننعم التّفكير في قوله جلّ جلاله: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} [الأنبياء: 37].

لماذا لا ننظر إلى ما يجري أمامنا على مسرح هذه الحياة من تقلّبات حيويّة؛ لنتحقّق من ذلك أنّ جميع الظّروف مواتية لكلّ شؤوننا وأعمالنا، وأنّ الدّنيا أصبحت تسير من حسن إلى أحسن؟

وصرنا نشاهد كلّ يوم أنّه كلّما امتدّ حبل النّضال إلّا ونجد أنفسنا في ازدياد كثير من الخير والإنعام، وربح كثير من الشّرف والتّجارب والعبقريّة التي لا يمكن أن تمحوَها الأيّام، أو يغفلها التّاريخ من بين صفحاته.

ولكن انظروا إلى حاضر هذه الأمم المعاصرة وتاريخها، فهل استطاعت أن تكسب هذه السّمعة الطيّبة أو الدّويّ العالمي وعطفه؟

بل شعوب الدّنيا أصبحت مفتّحة أسماعها وأنظارها في نوع من الدّهشة والحيرة إلى ما يجري على مسرح قطركم وبلادكم، وإلى ما سيجدّ من أعمال البطولة والعبقريّة في المستقبل.

من مثّل أمّتكم العزلاء من كلّ شيء سوى الإيمان والعزيمة؟

وها هي الأيّام تحمل لكم في طيّاتها بشائر عظيمة، ستنعمون في ظلالها بأنواع من العزّ والرّخاء والرّفعة، جزاء صبركم ونضالكم، ومكافأة على حسن استبسالكم وإخلاصكم.